2 في رمضان تناولوا الفاكهة والخضار

3 رمضان في تركيا

4 يحيى الفخراني: (شيخ العرب) ليس أهم أعمالي

متى أطلق مدفع رمضان أولى إطلاقاته؟

لا تزال المجتمعات الإسلامية تحتفل بالعديد من الأشكال والطقوس الرمضانية التراثية والشعبية في استقبال هذا الشهر الكريم وإعلام الناس وإخبارهم بذلك استعداداً له واستشعاراً للحالة الدينية والاجتماعية التكافليّة وزيادة أواصر الاخوة في مختلف المدن العربية والإسلامية، وذلك بتنوع مظاهره الإيمانية والتي تزيد من روحانية هذا الشهر وأهميته عند المسلمين والتي تتضح جليّة على وجوه الأطفال وتزدان الشوارع وترتدي حلّتها المختلفة في هذا الشهر من كل عام، ويستعدّ المسلمون في كل بقاع المعمورة لهذا الضيف منشدين: «مرحباً أهلاً وسهلاً بالصيام يا حبيباً زارنا في كل عام. قد ألفناك بحب مفعم كل حب في سوى المولى حرام».

وقد اعتمد إعلان الامساك والافطار في العهد النبوي على نداء المؤذنين والذي اشتهر به الصحابيان الجليلان بلال بن رباح وعبدالله بن أم مكتوم، وحاول المسلمون مع زيادة الرقعة المكانية وانتشار الفتوحات الإسلامية أن يبتكروا الوسائل المختلفة في الاعلان عن رمضان إلى جانب الأذان حتى ظهر مدفع رمضان «الإفطار» إلى الوجود في العهد العثماني وأول ما بدأ استُخْدِمَ في مصر.

وعلى رغم اختلاف الباحثين في تاريخه إلا أن الشائع هو أن إطلاق مدفع الإفطار للمرة الأولى كان عن طريق الصدفة عند غروب أول يوم من شهر رمضان عام ٨٥٩ هـ عندما أهدي إلى السلطان «خوشقدم» مدفع فأراد تجربته للتأكد من صلاحيته فصادف إطلاقه وقت المغرب من أول يوم في رمضان ففرح الناس اعتقاداً منهم أن هذا إشعار لهم بالإفطار وأن السلطان أطلق المدفع لتنبيههم إلى أن موعد الإفطار قد حان في تلك اللحظة، وعندما علم السلطان سعادتهم بذلك أمر باستمراره وزاد على مدفع الإفطار مدفع السحور ومدفع الإمساك، وكان يُستخدم فيه الذخيرة الحية واستبدلت في ما بعد «بالبارود»الخفيف وانتقل بعد ذلك الى مختلف الدول العربية... والمدفع هو عبارة عن ماسورة من الصلب ترتكز على قاعدة حديد تتوسطها عجلة لتحريك ماسورة المدفع، وترتكز من ناحية على الأرض ومن ناحية أخرى على محور حديدي يتوسط عجلتين كبيرتين من الخشب او الحديد تساعدان في تحرك المدفع من مكان الى آخر. كما يُعدّ «فانوس» رمضان «المصباح» رمزاً مكمّلاً لمظاهر هذا الشهر، وتعود علاقة المدن الإسلامية به إلى ما رواه المؤرخون عن عبدالملك بن مروان -الخليفة الأموي- عندما حج الى بيت الله وأصدر أمره بإضاءة الصفا والمروة وتعليق المصابيح بها حتى تسهّل للمعتمرين والحجاج السعي. وتختلف الروايات حول الفانوس وتحويله الى رمز رمضاني الا ان الارجح منها يؤكد انه وبعد دخول المعزّ لدين الله الفاطمي مدينة القاهرة ليلا في ٣٥٨هـ واستقبال الأهالي له بالفوانيس أمر بعد ذلك بإبقائها طوال الشهر حتى أصبح هذا التقليد مما يميز ليالي رمضان عن بقية الشهور، وفي أيامنا هذه وقبل قدومه بقليل يبدأ الأطفال في شراء الفوانيس والتجول بها في أرجاء الحي، وكثير من الناس اعتاد تعليق فوانيس كبيرة وملونة في الشوارع وأمام المنازل وفي الحدائق ابتهاجا بزائرهم الجليل. وكان يصنع الفانوس من الفخار ثم النحاس ثم الصفيح والزجاج، ويضيء عن طريق زيت الزيتون أو الخروع أو الودك وفتيل الكتان، ثم أصبح يوضع في داخله شمعة، وتصنع الفوانيس الحديثة اليوم من البلاستيك وتعمل بالبطاريات ولها أحجام وأشكال متعددة. ولم تكن لتكتمل فرحة رمضان من دون أن يحضر «المسحراتي»، الرجل الذي يتجول في أحياء المدينة، ناقراً على طبلته ومنشداً أبياته الشعبية الخاصة برمضان وبعض القصائد النبوية ومهللاً ومكبراً، حتى يستيقظ الناس على صوته الجهوري «يا نايم وحدّ الدايم» أو «سحور يا عباد الله» استعداداً للسحور وصيام يوم جديد.. وينحصر عمل المسحر في هذا الشهر الفضيل فقط، اذ يبدأ جولته قبل الإمساك بساعتين تقريباً وقد يرافقه شخص آخر يحمل فانوساً لينير له الطريق في بعض الأماكن المظلمة خصوصاً الريفية وحينما يأتي العيد يبدأ جولاته الأخيرة مودعاً شهر رمضان ومبشراً بقدوم عيد الفطر المبارك، وفي هذه الأيام قلّ إن لم ينته وجود المسحراتي لاعتماد الناس اليوم على بدائل كثيرة ومنها المنبهات الحديثة.

وفي ما يبدو اليوم أن ثورة الحياة العصرية قضت على معظم مظاهر رمضان السابقة، ولكن بعض الأفراد ما زال يشعر بالحنين إليها ويعوّد أبناءه على بعضها. يقول محمد: اشعر وأنا في سني هذا أن الزمن يمضي ولا ينتظر أحداً، بل ويجرف معه أشياء جميلة، وكنا نعيش رمضان بكل أشيائه، فكان مدفع رمضان قبل أعوام قليلة يصدح ، ولكننا لم نجده بعد ذلك وأيضاً انتهى زمان المسحراتي صاحب المهنة الشريفة، وأصبحنا نعتمد على ساعة المنبه وبعض الناس خصوصاً في ظل إجازة رمضان لهذا العام لا ينام حتى الفجر ولا يحتاج إلى منبه، ولم يبق لنا سوى الفوانيس التي أحاول تعويد أبنائي عليها وشرائها لهم في رمضان.

ولا يخفي عبدالعزيز نعمة الله أسفه على اندثار بعض معالم رمضان ومظاهره الروحانية «كنا نسمع صوت المدفع وترتسم على وجوهنا حين سماعه علامات الفرح والابتهاج بقدوم هذا الضيف الجليل وعند التأكد من قدوم العيد يطلقون ضربات عدة إثباتاً لذلك، مضيفاً ان منطقتنا كانت تشهد تجوّل المسحراتي في وقت سابق قبل أن تأتي مكبرات الصوت في المساجد ولا ساعات المنبه، كما أكد نعمة الله حرصه على الذهاب إلى الامكنة التي تحفل بالأجواء الرمضانية السابقة حتى استشعرها وأنعم بروحانية الشهر الفضيل ولو لوقت قصير.

عن موقع جدة نت

نفحات الإيمان والكرم في رمضان الحضرة القادرية

بغداد / واع

تطل قبة ضريح الزاهد الصوفي الجليل عبدالقادر الكيلاني البيضاء على محلة باب الازج ببهائها ونورها الوقاد لتضفي على المحلة القديمة بركاتها وتكسبها اسم صاحب المقام قدس سره.

محلة باب الشيخ التي تعود الى زمن ما قبل العهد السلجوقي (٥٣٩٥هـ- ١١٣٣م) والتي تحول اسمها مع وجود الحضرة القادرية من اسمها القديم الذي اشتهرت به تاريخيا بـ(باب الازج) تعتبر نموذجا صادقا للحياة البغدادية بكل ابعادها الحضارية من معمار وممارسات اجتماعية وفنون وطقوس دينية عبر العصور.كان المرقد الشريف وما زال يؤثر في طريقة حياة اهالي المحلة وتلعب الطقوس الدينية والممارسات التي يمارسها زوار الشيخ الجليل عبدالقادر الكيلاني دورا كبيرا في تفرد محلة باب الشيخ عن باقي المحلات البغدادية المجاورة رغم تلاصق وتلاحم الازقة والمحلات.فقد كان المكان يضج بالزوار والحجاج والشيوخ الدراويش والمتصوفين طوال ايام السنة ولكن حلول شهر رمضان في محلة باب الشيخ لها طعم ونكهة خاصة لا يعرفها اهالي بغداد كما يعرفها ويعيشها (الشيخليون) عبر العصور. ولنرجع الى طقوس هذه المحلة عبر الزمن الغابر ونرى كيف يستقبل اهل محلة الشيخ قدومه، فحين يقترب موعد مراقبة الهلال وعند موعد الرؤية يصعد اهالي باب الشيخ الى سطوح دورهم العالية لمراقبة السماء، وحين يظهر الهلال تزف البشائر باطلاق النار من مسدسات (الوبلي) ابو البكرة في الهواء، وتهلل النسوة بالزغاريد ويكبر المؤذن من على منارة الحضرة القادرية الشريفة، فرحا وابتهاجا لمقدم الشهر الميمون، بعد ذلك تبدأ مراسيم استقبال رمضان باعداد المطبخ العائد الى المسجد القادري (الشوربة خانة) وتطهى في القدور الكبيرة وجبات الافطار الواسعة العامرة، والتي تقام في كل يوم من ايام شهر الصوم الكريم.

ولهذه الموائد التي كانت تقام في الماضي البعيد في ديوان الاسرة الكيلانية (الدركاه او الديوه خانه) من قبل السادة الكيلانيين باسلوب خاص متبع لديهم منذ العهد العثماني، اذ كانت هذه الوجبات تقدم لجميع شرائح المجتمع من كل يوم وجبة افطار لطبقة من الناس وكانت تتم طيلة ايام شهر رمضان في (الديوه خانة) اي ديوان الحضرة القادرية التي تقابلها والتي يفصل بينهما شارع باب الشيخ.

وبعد الافطار يذهب الرجال الى صحن الحضرة لاداء صلاة التراويح وبعد ذلك يتفرق الناس الى شؤونهم المختلفة فمنهم من يذهب الى الجلوس في المقاهي المنتشرة في المحلة ومنها مقهى ياس وكان باتصال معها مباشرة مقهى صيفي تابع لها، كانت تمارس فيه لعبة الصينية ومن امهر لاعبيها القدماء خضير القصاب.وبعد ذلك تلعب لعبة المحيبس الشهيرة بعد ان تأتي الى باب الشيخ فرق احدى محلات بغداد الاخرى، اذ تستمر هذه اللعبة الى السحور وهي لعبة لها محترفوها واسطواتها، وفي منتصف رمضان تأتي من مدن كركوك والسليمانية مجاميع من المتصوفة الدراويش لاقامة حفلات الذكر والاحتفاء بليلة ٢٧ رمضان إذ يقرأون التواشيح وقصائد مدح الرسول على ايقاع الدفوف.

ومن القصص الغريبة والشخصيات التي يذكرها شيوخ محلة باب الشيخ قصة الصوفية (سكينة المصرية) العمياء التي كانت تسكن احدى غرف الوقف في الحضرة القادرية حيث كانت تخرج صباح كل يوم بصحبة دليل مغربي من الحضرة الى منطقة الميدان مرورا بمحلة باب الشيخ والمحلات المجاورة الى منطقة المدائن، وكانت تنشد في تجوالها اليومي المدائح النبوية والقصائد الدينية مثل اشعار الشيخ الصوفي محمد البوصيري:

كيف ترقى رقيك الانبياء

يا سماء ما طاولتها سماء

وكان الناس يقفون لمشاهدتها ويرددون بعدها في خشوع وتعاطف:

(صلوا عليه وسلموا تسليما) وهي تكمل مسيرها بينهم وتقرأ الاشعار بنغم الصبا الحزين.

وتعد محلة باب الشيخ وحدة حضارية بغدادية متكاملة يلاحظ فيها التطور المعماري للبناء البغدادي الجميل الذي امتازت به مدينة بغداد من عصورها القديمة، وقد كانت مهنة البناء بكل تفاصيلها المعقدة من المهن التي يجيدها ابناء محلة باب الشيخ ويتقنون فنونها اتقانا جعل (خلفات) تلك المهنة من اشهر اسطوات بغداد ونذكر منهم: الاسطة احمد خضير الذي اشتهر بعمله في ترميم طاق كسرى في المدائن في اربعينيات القرن العشرين، وقد كان ناظرا لاعمال جامع الملك غازي ومنهم الاسطة كريم بن رجب الجنابي الذي قام ببناء سينما الوطني المطلة على شارع الرشيد والمقابلة لمسجد سيد سلطان علي، كما ساهم ببناء البلاط الملكي في منطقة الكسرة في الاعظمية واختص بعمل الترميمات التي تجري على الحضرة الكيلانية ومنها القبة البيضاء الشريفة.

واشتهرت محلة باب الشيخ كذلك بصناعة اليزر قبل شيوع العباءة لدى النساء المسلمات والطوائف الاخرى كالنصارى واليهود، وكانت تتميز بالوانها الزاهية وتطرز الفاخرة منها بالكلبدون. واشتهروا كذلك بالحياكة وباتقانهم لقراءة المقام العراقي ومعرفة فنونه وذلك لجلوسهم الساعات الطويلة خلف (الجومه) لا يجدون ما يأنسهم سوى قراءتهم لهذا الفن العريق ولكن اتقان المقام من باب الشيخ يرجع الى وجود الضريح الشريف في تربة المحلة، والذي كانت تقام فيه الاذكار واقامة الاذان والتجويد للقرآن الكريم والتمجيد والتسبيح والابتهالات، كل ذلك جعل رجال المحلة يتقنون اصول وفروع المقام العراقي بكل صنوفه، وقد اشتهرت منهم طبقة كبيرة من القراء امثال نجم الشيخلي ذي الحنجرة الذهبية والحجي عباس كبير الصوفي والمصارع من زورخانات بغداد القديمة، كان اهالي بغداد يزورون ضريح الشيخ ومقامه الكريم يوم الثلاثاء من كل اسبوع ضمن ما اعتادوا عليه في (الكسلات والزيارات) التي اعتاد البغادلة على القيام بها ويعتنون بالاستعداد لها بتحضير الطعام والفواكه اثناء شهر رمضان لتناول الفطور في المكان الذي يقصدونه طلبا للبركة والترفيه، ومن هذه الزيارات والكسلات زيارة السبت المخصصة لزيارة الامام موسى بن جعفر وكسلة الاحد لزيارة مريم بنت عمران من كرادة مريم والاثنين لزيارة مرقدي (الشيخ عمر السهروردي ومرقد سيد ابراهيم) اما الثلاثاء فجعلوه لزيارة الشيخ عبد القادر الكيلاني والاربعاء لزيارة مرقد ابو رابعة في الاعظمية محلة النصة، اذ يعتقد ان صاحب القبر هو الخليفة الشهيد المستعصم بالله الذي غيب قبره المغول.

تعتبر محلة باب الشيخ ملاذ المساكين وفقراء بغداد وخصوصا حول جدار الحضرة إذ يفترش الباعة الرصيف ليبيعوا الاطعمة زهيدة الثمن مثل الكبة والدولمة والعروك والحلاوة، وقد كان هناك شيخ من شيوخ الحضرة القادرية يبيع (النبق) الذي ينتجه شجر السدر المنتشر في صحن الحضرة.

ويقوم المحسنون واصحاب النذور بتوزيع نذورهم حول السياج على محتاجيه وقد يأتي غير المحتاج لتناول ذلك النذر طلبا للبركة.

باب الشيخ هذه المحلة المتفردة بجوارها الحضرة الكيلانية والمتشرفة بضيافته الجليلة انفردت عبر العصور بتنوع سكانها وجمال طقوسهم الاجتماعية والدينية ذات النكهة العريقة لاتزال تحافظ على ذلك الارث الثمين التي هي من سمات محلات بغداد العريقة.

العدد (1897) السنة الثامنة
الخميس (2) ايلول 2010

http://www.almadapaper.com
E-mail: almada@almadapaper.com

الإعلام وصوم الجياع

كاظم الجماسي

في اجواء رمضانية غاية في القسوة بالنسبة للسواد الاعظم من العراقيين المبتلين بأحوال البلاد والعباد، ومع تأخر موعد تشكيل حكومة وطنية، تشهد السوق الاعلامية العراقية نشاطا ملحوظا في التفنن بعرض كل ما من شأنه اثارة حفيضة الشريحة الاكبر من شرائح المجتمع العراقي، حيث الموائد الباذخة بكل ما لذ وطاب من شتى انواع المأكولات والمعجنات والحلويات والعصائر، في الوقت الذي يكدح فيه العراقي الفقير من طلع شمس النهار حتى مغيبها باذلا طاقة جسده المتهالك ونازفا عرق بدنه من اجل ان يحصل على اجر يكفي بالكاد لشراء خبزا وبعض الخضروات، ، مثلما تشهد حملات اعلامية جديدة للتعمية والتمويه على حقيقة ما يجري من مفاوضات ولقاءات، لتشكيل حكومة.

ومع حداثة خوضنا كعراقيين لتجربة النهج الديمقراطي، فأن عددا كبيرا من مؤسساتنا الاعلامية بلغ بها الشطط في استخدامها حق حرية التعبير المتاحة بما يؤذي مسيرة الديمقراطية وعدم الالتفات الى مصالح الناس الاكثر فقرا من بين طبقات المجتمع العراقي، مثلما ارتكب بعض مسؤولينا الكثير من المغالطات في الدورة الحكومية الماضية من دون ان ان يفوا بوعد من وعودهم، الامر الذي خلق فجوة ثقة بين المواطن والسياسي، اتسعت وتعمقت بنحو لايمكن اغفاله او السكوت عنه.

ففي الوقت الذي يعد رمضان شهرا فضيلا في عفة العين واليد واللسان كما تؤكد ذلك التعاليم السماوية والسنة النبوية، فأن مايعرض على شاشات تلك الفضائيات ابعد ما يكون عن العفة مشاهدة وطرحا بلغ في بعض الاحايين حد السماجة والسفاهة المكتملة في الوقت ذاك تتلوى بطون الصائمين الجياع تعصرها مرارة الخيبة والخذلان..

لايختلف اثنان من العراقيين على تشخيص مشكلات مزمنة عدة ظلوا يكابدونها طوال زمن الدورة الحكومية الماضية، فلا انسيابية في الحصول على ماء صالح للشرب، ولا توفر علاج او دواء او مصحات مناسبة لمن يعاني المرض منهم، ولا حركة لهواء المبردات او المراوح في بيوتهم المصطلية بسعير القيض، ولا استلام مستديم لمفردات حصصهم التموينية التي يبدو انها قطعت عنهم (سكتاوي)، ولا ثقة بسلامتهم وسلامة ابنائهم في الرواح والمجيء، ولا.. ولا.. ، وتنهافت شاشات تلك الفضائيات بعرض القصور الباذخة التأثيث والتكييف..، والوجوه الفائضة بالشبع والعافية والثراء، والموائد التي يسيل لها لعاب الشبعان قبل الجوعان، والازياء والسيارات و..و... وكل ما يطعن مشاعر الفقراء المعدمين في الصميم.

كل ذلك فضلا عن ان محمولات خطابات بعض الفضائيات يدس السم في العسل من اجل النيل من حظوة التجربة الديمقراطية في نفس المواطن العراقي.

غير ان العراقي، على الرغم من فداحة خسائره طيلة الاربع سنوات الماضيات وماقبلها وما بعدها، ادرك ما للديمقراطية من ثراء انساني كبير كفيل بتحقيق كل ماكان محروما منه سواء على صعيد العيش او الكرامة، وايقن اخيرا، على الرغم مما يطفو على السطح من دعوات مريضة خاسرة تنادي بعودة الاستبداد، مستثمرة خيبات الامل المباشرة عند بسطاء هذا الشعب، ايقن العراقي انه يمضي الى الامام، في توكيد حقه بمستقبل افضل عبر اختياره القوى الشريفة التي ناضلت حقا، طيلة عقود، في سبيل تحقيق حرية وكرامة الوطن والمواطن.

رمضان في العالم